جوانب من التأثير العربي في اللغة الأسبانية *

التأثير العربي في اللغة الأسبانية
وما يقرره من حقائق

الدكتور حكمة علي الأوسي

قسم اللغة العربية كلية الآداب ـ جامعة بغداد

إن ثمانية قرون من الوجود العربي الفعال في أسبانيا، سياسياً وثقافياً وحضارياً، ما كان لها أن تمر دونما تأثير عميق في الشخصية الأسبانية، في مختلف جوانبها ومظاهرها. ولقد رأينا، فيما تقدم من البحث، أطرافاً من هذا التأثير العربي في العلوم والفنون المتنوعة، تمكنت أسسها، في أسبانيا، أولاً، ثم انتقلت عنها إلى بقية الأقطار الأوروبية فيما بعد.

ومن المقرر أن اللغة هي وسيلة كل فكر، ووعاء كل علم، ومظهر كل إحساس، ولا يمكن أن يكون للفكر أو للعلم أو للإحساس وجود حقيقي ما لم تستقر كل منها في لفظ يجعل منه شيئاً مفهوماً لدى الغير. بل إنها لتكون، عندئذ فقط، موجودة ومفهومة لدى الإنسان نفسه، قبل أن ينقلها إلى غيره.

وفي الحقيقة أن اللغة العربية، والفكر العربي الإسلامي، بدأ تأثيرهما في اللغة والفكر الأسبانيين، قوياً وواضحاً منذ أواسط القرن

(*) تتمة البحث المنشور بنفس هذا العنوان في مجلة كلية الآداب، العدد السادس والعشرون حزيران ١٩٧٩.

الثاني للوجود العربي في الأندلس. ولم يقتصر هذا التأثير على سكان المناطق التي كانت داخلة في سلطان الحكم العربي فقط، بل إنه قد تجاوز ذلك إلى المناطق المسيحية الشمالية كلها أيضاً.

وفي شكوى آلفارو Alvaro القرطبي، التي وصلت إلينا، دليل تاريخي ثابت، على انتشار اللغة العربية والفكر العربي الإسلامي بين الشبان الأسبان، في القرن الثالث الهجري، انتشاراً طوعياً جعلهم يستعربون كلية، وينسلخون عن لغتهم القومية اللاتينية وعن كل ما يتعلق بتراثها وآدابها، ويقبلون على العربية وثقافتها إقبالاً جعلهم كالعرب المتأدبين بلغتهم سواءً بسواء[1].

وتعرضت، بطبيعة الحال، اللهجة العامية الأندلسية إلى تأثير قوي من لغة الرومانثي وهي اللاتينية العامية التي كانت لغة الأسبان المعايشين للعرب الأندلسيين والتي تطورت إلى اللغة القشتالية فيما بعد، أي الأسبانية. وظهر هذا التأثير في لغة خرجات الموشحات الأولى، وفي الأزجال الأندلسية، خاصة.

وكان من نتائج هذا التعايش بين العرب والأسبان، كل هذه القرون الطويلة الحافلة بالأحداث السياسية والحربية والعلمية والثقافية، أن انتقلت إلى الأسبانية، مع ما انتقل إليها من مضامين الحضارة والفكر العربيين، آلاف من المفردات اللغوية العربية التي تعبر عن حضارة أرقى، وفكر أوسع. ولم تقتصر هذه المفردات العربية، في تأثيراتها، على اللغة الأسبانية فحسب، بل لقد شملت البرتغالية والقطلانية أيضاً، وهما من اللغات الأساسية في شبه الجزيرة الأيبيرية، حتى العصر الحاضر فنفحتها بعطر عربي فوّاح.

إن دراسة هذا التأثير اللغوي العربي له أهمية خاصة، ذلك لأنه

---

(١) راجع: حكمة الأوسي: فصول في الأدب الأندلسي، ص ٣١، والمراجع المعطاة في الهامش.

يمثل، إلى جانب قيمته في علم اللغة وعلم اللغة المقارن، حقائق من التأثير الحضاري حملته معها تلك الألفاظ. وهو يقدم لنا، في نفس الوقت، دليلاً ساطعاً، لا سبيل إلى دحضه، للتأثير العربي العميق الذي مارسته الثقافة العربية على شعوب شبه جزيرة أيبيريا كلها[٢]. ولقد اخترت أن أدرس هنا، جوانب معينة من هذا التأثير تتجلى في: المجالات العسكرية والإدارة المدنية، وفي التجارة والزراعة والصناعة.

لقد كان على اللغة الأسبانية، حينئذ، مع بقية لغات شبه الجزيرة الأيبيرية، أن تأخذ من العربية كل ما كانت بها حاجة إليه لكي تعبر عن المفاهيم الجديدة التي غمرتها في ظل الثقافة العربية الإسلامية في الأندلس، ولا سيما في مجال مؤسسات الدولة، وفي الحياة الخاصة. وهذان المجالان كانا غنيين، بشكل فريد، بعناصر الثقافة والفكر[٣].

في المؤسسات العسكرية والمدنية:

فلو تفحصنا المصطلحات الأسبانية المدنية والعسكرية، في العصور الوسطى وحتى العصر الحديث، لاكتشفنا أعداداً كبيرة من المفردات ذوات الأصل العربي. فلا تزال في الجيش الأسباني حتى اليوم، مفردات عربية الأصل تستعمل للدلالة على رتب أو مهمات عسكرية، أو ثكنات للحماية. إلخ. أمثال ذلك أن رتبة الملازم الثاني تسمى بالأسبانية alférez وهي كلمة «الفارس» العربية. ورتبة المقدم almocadén أو almoacén، وهو قائد أو رئيس الجنود المشاة. ويلاحظ أنها مستعملة بمعنى مشابه لمعناها الآن في الجيوش العربية. واستعملوا كلمة «أمير» بمضمون ذي علاقة وثيقة بمعناها العربي، وبصيغة almiral و almirante وهي في الانكليزية والألمانية admiral وفي الفرنسية amiral. وقد عُرِّبت هاتان

---

(٢) انظر في هذا: E. Levi-Provençal: "La civilizacion arabe en Espana" p. 106

(٣) نفس المرجع، ص ١٠٦.

الصورتان الأخيرتان بصيغة «أميرال» و«أدميرال» جهلاً بأصلها العربي. وقد شاع استعمالها مؤخراً، في العربية، بصيغة صحيحة «أمير البحر». وطليعة الجيش أو طلائعه دخلت الأسبانية بلفظة atalaya واستعملت بمعنى مَرقَب، مَشْرَف، رَبيئة، كما أُطلقت على الجندي أو الحارس المكلف بالاستشراف والمراقبة من على المراقب والربايا لإعلام القيادة بما يكتشف من تحركات الأعداء. ومن الواضح أن لهذه المعاني كلها علاقة وثيقة بنواة المعنى العربي للفظة «الطليعة» وهي من يُبعث قدام الجيش ليطلع على استعدادات العدو. وقد زودت هذه اللفظة العربية المفردات الأسبانية بمشتقات كثيرة تتعلق كلها بنواة المعنى العربي الذي بيّنّا. فاشتق منها فعل: رقب، ربأ، تجسس «atalayar»، والمراقب أو المتجسس atalayador والمراقبة أو التجسس atalayamiento، والربيء والربيئة atalayero وهو الذي كان يكمن في مواضع متقدمة أمام الجيش ليراقب تحركات الأعداء ويعلم بها قيادته. ومؤخرة الجيش هي الساقة zaga بهذه الصورة وبنفس المعنى استعملت في الأسبانية، ثم انتقلوا بها من هذا المعنى الخاص إلى معنى عام فأطلقت على مؤخرة كل شيء، ثم على الحمل في مؤخر العربة، ثم بمعنى متأخراً «en zaga».

ومن الأسلحة التي كانت تستعمل في الحروب، العرّادة: algar-ada, algarrada وهي آلة حربية كانت تستعمل قديماً لقذف الحجارة على الأسوار وهي منجنيق صغير. والخنجر alfanje ولا يزال يعني، في الأسبانية، الخنجر، أو الحسام، أو السيف المحدب كالخنجر. واحتفظت لفظتا الدرع والدرقة بلفظيهما ومعناهما العربيين aderga و Adaraga ومن الألفاظ المستعملة في الحرب الغارة algara والدليل adalid والفرس alfaraz وبصيغة الجمع كذلك alfaraces. وكانت الأفراس تُزيَّن بزينة خاصة في مواسم الاحتفالات تسمى بالأسبانية jaeces مفردها jaez وهي من العربية (جِهَاز): وهو بفتح الجيم: ما على الفرس أو الراحلة عموماً، وبكسرها: ما تحتاج إليه من معدات الركوب ومستلزماته.

والعلاقة المعنوية واضحة بين زينة الفرس و(جهاز) العروس.

ومن مستلزمات الأفراس والخيول والرواحل السرج أو البردعة albarda والشكيمة jaquima والثَّفَرُ atafarra أو ataharre وهو سَيرٌ في مؤخرة السرج ونحوه يُشَدُّ على عجز الدابة تحت ذنبها ليُثَبِّتَ السرج أو البردعة على ظهرها فلا يميل عنه. وبالمهماز أو الشوكات acicates تُهمز الخيول ليشتد عدوها. وانتقلت لفظة «الحِصان» إلى الأسبانية بصورة álazan ويُراد بها الحصان الأشقر أو الفرس الشقراء. والزّاملة acémila وهي الناقة أو البغلة التي يُحمل عليها. وقد استعملت في الأسبانية بمعنيين: الأول هو هذا الذي بيّنا، والمعنى الثاني هو نوع من الضرائب القديمة، ويلاحظ أن هذا المعنى الأخير مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى الأول والجامع بينهما هو الثقل. وكانت حدود المدن تُحمى بالقصبات ومفردها قصبة cazaba.

ويبدو هذا التأثير العربي واضحاً وقوياً في كل ما يتعلق بمؤسسات الدولة في القديم. ولا يزال بعض هذه المصطلحات حياً في المؤسسات الأسبانية الحديثة أيضاً. فلا تزال أنواع من الضرائب والمكوس تسمى بأسماء عربية قديمة مثل:

القبالة: alcabala، وقد انتقلت إلى الفرنسية أيضاً gabelle، وغرامة: garrama، والبقية: albaquia. ولا يزال لفظ القاضي alcalde يطلق على رئيس البلدية، وشيخ البلدة، أو العمدة أو المختار، وزوجته تسمى alcaldesa، ومقر البلدية alcaldia. والقائد alcaide هو الذي كان يتولى مسؤولية الدفاع عن قلعة من القلاع أو حصن من الحصون. ويطلق الآن على مدير السجن، وامرأته alcaidesa، ودائرته alcaidia. والوزير alguacil تعني أحياناً قليلة نفس معنى الوزير، ولكن معناها الأول: موظف في المحاكم مسؤول عن تنفيذ أوامر المحكمة. إن وظيفة صاحب المدينة zalmedina وصاحب الشرطة zavazorda استعار الأسبان لفظيهما ليطلقا عندهم على نفس الأشخاص ونفس المهام التي كانوا يقومون بها.

ولقد بقيت وظيفة المحتسب العربية almotacén وهو الموكل بمراقبة الأوزان والمكاييل، بقيت مستعملة بنفس اللفظ هذا ولنفس المضمون، في شبه الجزيرة الأيبيرية لمدة طويلة(٤).

ومن الوظائف العربية المهمة كانت وظيفة «المُحَلّف»، إبان الحكم الأموي في الأندلس، وهي مرادفة لكلمة «المُستَحْلَف»، وكانت مهمته جمع الأخبار والمعلومات التي تهم الأمير أو الخليفة، ويرفعها إليه. وقد انتقلت هذه الوظيفة مع اسمها إلى أسبانيا المسيحية، واتخذ اللفظ صوراً متعددة منها: motalafe و almotafaz و almotafa و amotalafe و mudafafe ويرى دوزي أن أصح هذه الصيغ هي almos-talaf, almotazaf بينما يرى قاموس الأكاديمية الأسبانية أنها almotalafe ولكن دلالتها أصبحت في الأسبانية، مشابهة لدلالة المحتسب، وإن وجدت أنواع مختلفة، في أسبانيا، لهذه الوظيفة. وقد ذكر ابن جبير أنه ومن معه من المسافرين قابل «المستحلف» في مدينة «بلارمة» في صقلية وكانت تحت حكم المسيحيين فسألهم عن مقصدهم وعن بلدهم بكلام عربي لين(٥).

في التجارة:

وقدمت الحركة التجارية العربية النشطة الكثير من الألفاظ والمصطلحات للغة الأسبانية مثل:

تعريفة tarifa وهي التسعيرة أو السعر وقد انتقلت إلى معظم اللغات الأوروبية وبقيت فيها مستعملة في الشؤون التجارية حتى اليوم.

---

(٤) نفس المرجع، ص ١٠٧.

(٥) انظر: R. Dozy: "Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe". Beirut, 1974, p. 175.

ورحلة ابن جبير، نشر «رايت»، الطبعة الثانية، برادفورد، ١٩٤٩، ص ٣٣٠.

فهي في الفرنسية tarif وفي الانكليزية tariff وفي الألمانية tarif كذلك. ولا تـزال حتى اليوم دائـرة الكمارك عـلى الحدود بـين الدول تسمى بالأسبانية aduana من (الديوان) العربيـة والذي كـان ولا يزال يعني الدائرة الحكومية المختصة بمهمة من المهمات وفي الفرنسية douane من نفس اللفظة العربية. والمناداة almoneda تطلق على البيع بالمزاد العلني للممتلكات والأثاث. ولفظة «المؤونة» دخلت الأسبانية مخففة كما هي في عاميتنا اليوم «المونة» واتخذت صورتين: «almuna» و«mona» وأصبحت تعني بالأسبانية معاني مختلفة ولكنها يلمح فيها جميعاً المعنى العربي النواة وهو: القوت وما يدخر منه. فمن معانيها: مصيدة السمك، ومغاص اللؤلؤ، وبيت أو مخزن عام، وهي تعني اليوم في الأندلس الأسبانية: دكاناً لبيع الصابون ومواد التنظيف. ومن المكاييل العربية احتفظت اللغة الأسبانية بـ «المُدّ» almud وهو كيل قديم للحبوب يختلف مقداره من منطقة إلى أخرى. وهناك (المودي) وهو كيل عربي قديم له صورتان في الأسبانية almodi و almudi وإلى جانب المحتسب الذي تحدثنا عنه فيما سبق، هناك «المشرف» almojarife أو almojerife وهو، في الأسبانية، الموظف الذي كان يشرف على جمع الإيجارات وحقوق الملك، أو الموظف الذي كان يتسلم نوعاً من الضرائب على البضائع التجارية التي تخرج من المملكة، وقد اشتق اسم هذه الضريبة من اسم «المشرف» كما هي صورة نطقه في الأسبانية almojarifazgo أو almojarifadgo أو almojarifalgo. وهنـاك ضـريبـة أخرى هي «الغرامة» garrama.

وفي المعاملات التجارية هناك دائمًا «البقية» من الحساب albaquia. والهدية أو المكافأة التي تقدم لمن يأتي بخبر سار هي «البشارة» albricias وربما كان التجار يقدمون لمن يأتيهم بنبأ تجاري فيه ربح مغر، أو إعلام بوصول بضاعة سالمة.. الخ. ومما يتعلق بالتجارة وشؤونها المخازن، وقد دخل الأسبانية مفردها «المخزن» almacén واشتقت منه مشتقات عديدة. ومن مستلزماتها «الهري» alholi, alhori, alfoli وهي بالعـربية مخـزن

الغلال، وهذا نفسه ما تعنيه بالأسبانية بصورها الثلاث. والتجارة ميدانها السوق zoco، والتجار الذين ينتقلون بين مدن وبلاد مختلفة بهم حاجة إلى الفنـدق alfondega و alhóndiga و alfondiga ولكن معنى هـذه الألفاظ تحول في الأسبانية إلى: سوق الغلال والحبوب حيث تستقر بعد رحلة نقل تقصر أو تطول. فكأن الجامع بين المعنيين الحاجة إلى مستقر بعد سفر. ومن متطلبات السوق والتجارة معاً «الحـمّال» alhamel ولكن اللفظة أصبحت تعني، في الأسبانية، دابّة الحمل. والحاجة alfaya في السوق لها سعر، فانتقلت دلالة اللفظة هذه في الأسبانيـة، إلى دلالة أخرى ملازمة لكل «حاجة» وهي «السعر» أو «الثمن».

في الزراعـــة:

لقـد كان للتقـدم الزراعي الـذي تحقق عـلى يـد العـرب، في الأندلس، تأثير عميق في الحياة الاقتصادية للمجتمع الأندلسي. الشيء الذي حقق فيه الرخاء، وأشاع الاستقرار والازدهـار الاجتماعي. ولم يقتصر تأثير هذا التقدم على المجتمع الأندلسي خـلال عصور الحكم العربي حسب، بل لقد امتد تأثيره عميقاً في العلم الزراعي الأسباني، وفي الهندسة الزراعية الأسبانية حتى الأزمنة الحديثة. ولم يقف تأثير التقنية العربية عند حدود الريف والنواعير التي ترفع الماء للسقيا، والبساتين المثمرة، فقط، بل لقد شمل هـذا التأثـير العلوم الزراعيـة الأسبانيـة بمساهمته في تحقيق عصر النهضة والإحياء(٦). إن هذه الحقائق العلمية التاريخية الساطعة قررها عالمان أسبانيان هما: آلونسودي ايرّيرا Alonso de Herrera عضو المجلس الأعلى للبحوث العلمية، والأستاذ الأكاديمي خوسيه ميلّلياس فاليكروسا José M. Millás Vallicrosa.

وتتجلى مظاهر هذا التأثير العلمي العربي من خلال طائفة كبيرة

---

(٦) انـظر: José M. Millás Vallicrosa: "La ciencia geoponica entre los autores hispanoarabes" Madrid, 1954, pp. 5-6, 45-46.

من المفردات والمصطلحات العربية التي لا تزال مستعملة في أسبانيا، حتى اليوم، مع مسمياتها من بقايا الوسائل الحضارية العربية.

فهناك مثلاً، الساقية acequia وتستعمل في نفس معناها العربي، أما في بيرو، في أمريكا الجنوبية، فيراد بها جدول الماء. وقد اشتقت منها مفردات أخرى مثل: acequiar «يحفر ساقية» و acequiador الذي يحفر ساقية، و acequiero: الذي ينظم استعمال السواقي، والذي يُعنى بها(٧)، وفي مرسية لا يزال القوم يستعملون لفظة مشتقة من كلمة «الساقية» بصورتها الأسبانية وهي acequiaje يطلقونها على ضريبة تدفع لقاء صيانة السواقي والحفاظ عليها.

ومن آلات السقي العربية الناعور والناعورة anoria, noria وقد انتقل هذا اللفظ إلى الفرنسية أيضاً وبنفس صورته الأسبانية. والسّانية aceña وهي آلة كالناعور يستخرج بها الماء من البئر، أو يرفع من النهر لسقي الزرع. وقد انتقل هذا اللفظ إلى الفرنسية أيضاً وبنفس صورته الأسبانية. وهي من الفعل «سنا» يسنو سَنْواً وسُنُوّاً، وسَناوة، بمعنى سقىٰ. وصارت تُطلق في الأسبانية على الطاحونة المائية. وهناك الجُب alchub أو algibe والبركة alberca. وفي المناطق الزراعية تكثر القرى alquerias و alcarias والضِّيَعُ، مفردها ضيعة aldea ويُقصد بها في الأسبانية القرية أيضاً، وتكثر المتنزهات أيضاً. وكانت لفظة «المُنية» almunia تُطلق لدى الأندلسيين على المُتنزه، وربما كان ذلك تشبيهاً للمتنزه بالأُمنية التي يحلم كل إنسان بأن تتحقق له، لروعة تنظيمها، وجمال أورادها، وشهي ثمارها، وغزارة مياهها، ولطافة أجوائها.

---

(٧) وقد ذهب الأستاذ F. Corriente في قاموسه إلى أن معنى هذه اللفظة هو «حارس الساقية» وهي ترجمة غير دقيقة، ولا يؤيده فيها واقع استعمالها في الأسبانية، قارن ذلك مع:

"Diccionario manual e ilustrado de la lengua española". Real Academia Espanola, Madrid, 1950, p.17.

ومن المعروف أن كثيراً من القرى المصرية الواقعة على الترع، تسمى إلى اليوم «منية» بكسر الميم[٨]. وكان ينهض في كل منية دار صغيرة، تحيط بها أشجار الفاكهة والأوراد. ولقد تحولت هذه المنيات الأندلسية، الآن، إلى ما يعرف بـ «فيلات» باللغات الأوروبية، تحيط بها البساتين المثمرة huertas[٩]. يقول الدكتور حسين مؤنس[٩]: «إلى سنة ١٨١١ كانت المنيات العربية قائمة كما خلفها أصحابها، مع اختلاف الأسماء طبعاً، فإن القواد الذين دخلوا البلد مع فرناندو الثالث الذي استولى على قرطبة من أيدي العرب سنة ١٢٣٦ تقاسموا هذه المنيات وأعطوها أسماءهم».

وكل مزرعة almáciga تسقى الماء alema بالـدَّورador، وكذلك كـل مَـرْج almarcha. وقد تخصصت لفـظتا alema و ador: الأولى للدلالة على «مقدار ما يوزع، بالدور، من ماء في كل سقية»، والثانية للدلالة على «الزمن المحدد لكل شخص لكي يسقي زرعه، في المناطق التي يوزع فيها الماء بوساطة السلطات الحكومية أو عن طريق الجمعيات التي تنظم السقي لمجموع الأعضاء».

ومن الآلات الـزراعية العـربية«المِحْفَـر» almocafre وهي آلة تستخدم لخدش الأرض وتنظيفها من الأعشاب الضارة، ولنقل النباتات الصغيرة من مكان إلى آخر.

وكانت الحاصلات الزراعية تقدر كمية غلتها قبل الحصاد، تقديراً تقريبياً، ويسمى هذا التقدير «تسمية» tazmia. ولا يزال هذا التقدير يستخدم، بشكل رئيس، لتقدير غلة قصب السكر azúcar. وقد انتشرت لفظة «السكر» هذه مع طرق زراعة قصبه وتصنيعه في معظم البلدان

---

(٨) انظر: عدلي طاهر نور: «كلمات عربية في اللغة الأسبانية». ١٩٧١، ص ١٣٦.

(٩) د. حسين مؤنس: «رحلة الأندلس، حديث الفردوس الموعود». القاهرة، ١٩٦٣، ص ٥٦.

الأوروبية، ولا تزال هي اللفظة الوحيدة في لغاتها المعبرة عن هذه المادة الغذائية الحيوية. فهي في الانكليزية sugar وفي الفرنسية sucre وفي الألمانية zucher وفي الإيطاليةzucchero وفي اللاتينية saccharum.

وحدث للقطن ما حدث للسكر، إذ انتشرت طرق زراعته وتصنيعه من الأندلس إلى جميع أنحاء أوروبا، واحتفظت معظم اللغات الأوروبية باللفظة العربية. فهي في الأسبانية algodón، وفي الانكليزية cotton وفي الفرنسية coton وفي البرتغالية algadão وفي الإيطالية cotone.

وإلى جانب هذين اللفظين انتقلت، من الأسبانية إلى اللغات الأوروبية، مئات الألفاظ العربية الأخرى المعبرة عن مطالب حضارية لم تكن معروفة في أوروبا آنذاك. فقد أنتجت حقول الأندلس وتكنولوجيا العرب الزراعية منتوجات وآلات لم تكن عند الأوروبيين أية فكرة عنها. فهناك طواحين tahonas لطحن الحبوب تديرها الحيوانات، وهناك سواني acefias وهي طواحين تدار بقوة الماء، ومعاصر almazaras لعصر الزيتون aceitunas واستخراج الزيت aceite. وانتشرت في الأندلس آلات زراعية مختلفة مثل: آلة حلج الأقطان «المحلاج» almarrà، وآلات لسقي المزروعات، ورش حدائق الأوراد مثل: «المطريج» almatriche، ويبدو أنها من عربية أهل الأندلس، إذ يقرر دوزي أنها عربية من «طَرَشَ» بمعنى رشّ، وسقى، كما وردت في ألف ليلة وليلة، ولكنه لم يستطع أن يجدها في القواميس العربية[١٠] ومثل «المِرَشَّة» almarraja وهي إناء لرش الماء.

وكان الماء الذي يزيد عن حاجة السقي يصرف عن طريق أخاديد خاصة تصبه في النهر. هذه الأخاديد كانت تسمى «المناهر» كما وردت عند المقري في نفح الطيب. ومفردها «المنهرة» almenara[١١]. ويبدو أنها

---

(١٠) انظر: Dozy: "Glossaire...", p. 160

(١١) انظر: Dozy: "Glossaire...", p. 163

مشتقة من «المنار» و«المنارة»، لعلاقة التوضيح والتحديد. فهذه تحدد الطرق للسالكين، وتلك تحدد الطريق للماء الزائد عن السقي لكي يصب في النهر.

ولو قصدت إلى إيراد الأمثلة التفصيلية، بإسهاب واستقصاء لكوّن ذلك كتاباً كاملاً عن التأثيرات العربية في الزراعة الأسبانية، وليس هذا من مقاصد البحث ولا من أهدافه. لذلك سأكتفي بما قدمت من أمثلة مفصلة، وسأورد طائفة من الألفاظ الأسبانية المتعلقة بالمجالات الزراعية، مع بيان أصلها العربي.

الغيضة : algida

السَّقَّاية: هي في الأسبانية azacaya

القديمة: ناعور كبير، والآن تعني: مصرف أو مجرى مياه.

السرب: مجرى لتصريف مياه السقي azarabe

الرياض arriates

ومن المنتوجات الزراعية العربية بمصدرها وبلفظها:

أزهار: azahar

أزهار: ويريدون بها أزهار النارنج والليمون، وأنواع من شجرة الأُتْرُنج. (يلاحظ أن الأسبانية خصصت الدلالة العامة لهذا اللفظ بنوع معين من الأزهار).

الصبارة: واحدة نبات الصَّبَّار وهو نبات صحراوي عصارته شديدة المرارة، يعرف عند العامة بالصبير. azabara

الزعفران: azafrán

بذر الكتان alcatenes

الرز: (وفي الفرنسية le riz والانكليزية rice والألمانية: reis) arroz

قهوة café

الفستق: alfocigo, alfostigo, alfoncigo, (pistacho)

هذه الصورة الأخيرة التي بين قوسين، يرى معجم الأكاديمية الأسبانية أنها من اللاتينية، وهي في تلفظها تبدو قريبة جداً من اللفظ العربي، فربما احتاجت إلى تحقيق أكثر. إذ قد تكون صورتها في اللاتينية مأخوذة عن العربية أيضاً، إبان حركة ترجمة العلوم عن العربية.

عرق سوس alcezuz, orozuz

الزهور والأوراد:

وفي مجال الزهور والأوراد، فإن كثيراً من أسماء الزهور والأوراد في الأسبانية عربي الأصل، وكثير منها انتقل إلى اللغات الأوروبية الأخرى أيضاً، عن طريق الأسبانية. فمن ذلك:

الخيري: alheli

السوسن. السوسنة: azucena

ياسمين: (وانتقلت إلى الانكليزية أيضاً jasmine وفي الفرنسية jasmin) jazmin

زنبق sampaguita

الدفلى adelfa

الريحان arraihan, arraijan

شعرة: jara

شجيرة دائمة الخضرة، ترتفع حوالى مترين. تكثر في وسط أسبانيا وفي جنوبها. ويطلق نفس اللفظ على ثمرتها وعلى أزهارها الكبيرة. هذا ما في قاموس الأكاديمية الأسبانية. أما دوزي فلم يذكرها. وفي لسان العرب مادة (شعر):

«... والشعراء الخوخ أو ضرب من الخوخ. وجمعه كواحده. قال أبو حنيفة: «الشَّعراء شجرة من الحمض ليس لها ورق ولها هدبُ تَحرص عليها الإبل حرصاً شديداً، تخرج عيداناً شداداً. والشعراء:

فـاكهة، جمعـه وواحده سـواء». ويبدو أنها كـانت تخفف بين عـرب الأندلس، فأخذت الأسبانية اللفظ بصورته المخففة.

رَتَمَة: retama

شجيرة من الفصيلة القرنية ترتفع من مترين إلى أربعة أمتار ولها أزهار صفر على شكل عناقيد، ولها أغصان دقيقة وطويلة ولينة. وفي لسان العرب قال أبو حنيفة: «الرَّتَم والرَّتيمة نبات من دِقّ الشجر، كأنه من دقته يشبّه بالرَّتَم». «... والـرَتَم بفتح التـاء: شجر، واحـدته رَتَمـة...» «... والـرَّتَمـة: الخيط يعقـد على الأصبـع والخـاتَم للعلامة..».

الخزامى alhucema

الفواكه والخضروات:

نارنج naranja

مشمش ameixa

ليمون limón

كروم carmen

صبر acibar

بطيخة

برقوق. مشمش albaricoque

نبقة anafega

بندق

باذنجان berengena

جزر aljazar

الخرشوف alcachofa, alcarchofa

السلق acelga

اسبانخ espinaca

التوابل والأفاويه:

مجلة كلية الآداب

جامعة بغداد

رئيس هيئة التحرير

د. فاضل عبد الواحد علي

نائب رئيس التحرير

د. محسن جاسم الموسوي

سكرتير التحرير

د. ابراهيم الداقوقي

هيئة التحرير

د. طلعة الياور

د. عماد موسى

د. علاء نورس

العدد ٣٢

آذار ١٩٨٢

المحتويات

		ص
● الاذاعات السرية والحرب النفسية الاذاعية الامبريالية	د. ابراهيم الداقوقي	١
● جوانب من التأثير العربي في اللغة الاسبانية	د. حكمة علي الاوسي	٢٧
● حكايات التراث العربية واثرها في القصص الهندية والاقطار المجاورة لشبه القارة	د. داود سلوم	٥٧
● الاسلحة العربية في العصر العباسي في ضوء المصادر الاثرية والتاريخية	د. صلاح حسين العبيدي	١٠١
● حول شيوع ظاهرة البديع في العصر العباسي	ضياء خضير عباس	١٣١
● تأسيس مدينة الانبار	د. طاهر مظفر العميد	١٤٧
● الهجرة الداخلية	د. عباس فاضل السعدي	١٦١
● الخط المسماري واللغة الاكدية	د. فاضل عبدالواحد علي	١٨٩
● الفضل بن سهل وزير المأمون	د. عمر فاروق فوزي	٢٠٥
● الفرويدية .. فكر علمي أصيل أم ضجة في العلم قامت وانتهت	قاسم حسين صالح	٢٢٥
● يتيمة الدهر والموقف النقدي من المتنبي	د. محمود عبدالله الجادر	٢٨٣
● النفس والعقل في فلسفة مسكويه	د. ناجي التكريتي	٢٩٩
● مشكلة النقل داخل المدن	د. صباح محمود محمد	٣٣٥
● الاصلاح الاداري العثماني بين النظرية والواقع	د. علاء موسى كاظم نورس	٢٥٩
● العلاقات العراقية الفارسية	د. رجاء حسين حسني الخطاب	٣٧٣

في مقدمة ما نذكر، في هذا الصدد، تعبير «دار الصناعة» atarazana, arsenal, ومعناها العام في العربية: «مصنع أو مكان الصنع». وقد وردت في مقدمة ابن خلدون بمعنى مصنع لصنع المعدات والأسلحة والحاجات الضرورية للمراكب، إذ أمر الخليفة عبد الملك، الحسن بن نعمان بأن ينشىء، في تونس؛ «دار صناعة» لصنع ما تحتاجه المراكب من معدات وأسلحة وحاجات ضرورية أخرى(١٢). وبهذا المضمون الخاص انتقلت الكلمة إلى جميع اللغات الأوروبية تقريباً(١٢). ثم استعارت العربية هذه الصورة الأجنبية لهذا اللفظ، في زمن محمد علي، في مصر، فشاعت بشكل «ترسانة» و«ترسخانة». وربما دخلت العربية الحديثة، بهذه الصورة، عن طريق التركية، وليس عن طريق مباشرة. وصارت تعني معنيين: مستودع الأسلحة والذخائر وأدوات الحرب، ومعمل المراكب(١٣).

صناعة الزجاج والفخاريات:

لدينا، في مجال هذه الصناعة، مجموعة من بقايا الألفاظ العربية التي استعارتها الأسبانية ضمن ما أخذته الحضارة الأسبانية من فنون صناعية وما استعارت من مفردات ومصطلحات عربية تعبر عن تلك المنتجات. ولقد ازدهرت صناعة الزجاج والفخاريات في العالم العربي الإسلامي ازدهاراً كبيراً، وكانت تجارة هذه الصناعات رائجة في جميع العالم المتحضر، في العصور الوسطى، لما كان لهذه المنتوجات الصناعية من اتقان في صناعتها وجمال أخاذ في منظرها. فكان هناك نوع من الزجاج مشهور يعرف بالزجاج العراقي، نسبة إلى العراق، كما هو واضح، حيث كانت للصناعات الزجاجية شهرة كبيرة، وكانت منتوجاتها

---

(١٢) انظر: Dozy: "Glossaire...", pp. 205-206 وعدلي طاهر نور «كلمات عربية في اللغة الأسبانية» ص ١٥٦ و٢٠٩.

(١٣) انظر: المنجد في اللغة. تأليف لويس معلوف. مادة (ترس).

تشبه «الكرستال»، فاستعارت الأسبانية هذا الاسم مختصراً «العراقي»، واستعملته بصور متعددة: iraga, iracha, irake . . الخ[١٤] وربما كان اسم هذا النوع من الزجاج يستعمل بين الأندلسيين بصورته المختصرة هذه، فيكون هذا الاستعمال من باب إقامة الصفة مقام الموصوف، أو حذف الصفة لدلالة الموصوف عليها، فكان هذا المصطلح مختصراً من أصله العربي الذي كان شائعاً بين الأندلسيين. وعن هذا الاستعمال المختصر، أخذته الأسبانية. وهذا ما أرجحه.

وكانت هناك صناعة الأقداح، وقد اقترضت الأسبانية مفرد هذه اللفظة «قدح» cadae، وهناك أنواع مختلفة من الفخار alfahar والأطباق: طبق tabaque . . الخ.

صناعة البناء ومواده:

كان لهذه الصناعة تأثير كبير في أسبانيا. يتضح لنا جانب كبير من هذا التأثير في المصطلحات والمفردات العربية التي استمدتها الأسبانية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى، من العربية. مثال ذلك:

البنّاء albañil , albañir, alfañi والعريف alarife وتعني بالأسبانية: المهندس المعماري، والأستاذ في عمل من الأعمال. وهي بالعربية: العالم بالشيء، والقيم بأمر القوم، والنقيب وهو دون الرئيس[١٥]. فكان العريف يضع خطط البناء، ويقوم البنّاء بالتنفيذ والتشييد.

ومن الألفاظ المستخدمة في البناء وشؤونه: القبو، alcabor والإفريز

---

(١٤) انظر: Dozy: ibid, p. 287-88

(١٥) انظر: المعجم الوسيط والمنجد، و:
W. Montgomery Watt: "The influence of Islam on Medieval Europe". Edinburgh, 1972, p. 24
Américo Castro: "La realidad historica de Espana". Mexico, 1973, p. 213.

friso والعمود alamud والعمارة alamar. وكان للبيوت وللعمارات سطوح، فأخذت الأسبانية مفردها مصغراً «سُطيح» azotea. ولكل منها بالوعة albañar, albañal. . . الخ إذ لها في الأسبانية صور متعددة مشتقة كلها من نفس الكلمة العربية.

ولا بد لكل بناء من أساس alizaque, alizace ولكل حائط إزار alizar.

وكان الطوب adobe يستعمل في البناء ويثبت على بعضه بالجص algez أو بالجبس gis ، وله في الأسبانية صور متعددة: jesón, aljez, aljezon. والمكان الذي كان يصنع فيه الطوب والآجر والقرميد يسمى المضربة almadraba أي مكان ضرب الطوب، أي عمله. كما كانوا يقولون: «ضرب السكة» وكانت حيطان الحمامات تعمل بالزليج azulejo. وكانت بعض أجزاء الدار تفصل عن بعضها الآخر بحائط مشبك من الآجر يسمى «تشبيك» taibeque وكانت الضبة adaba تستعمل لطرق الباب. والأبواب تحملها الرزاز arricises مفردها رزّة alguaza. والقبة alcoba أو الغرفة algorfa من أجزاء البيت المهمة وهي في الإيطالية alcova وفي الفرنسية alcôve. وكانت لبعض البيوت سقيفة azaquefa. وهناك القصر alcazar.

الأقمشة:

إن جميع أسماء الأقمشة تقريباً، في الأندلس العربية، كانت من مناشىء اسيوية. فإما عربية خالصة، أو معربة عن الفارسية، أو كانت منسوبة إلى مدن عربية صناعية في المشرق اشتهرت بصناعة النسيج، أو بنوع معين من الأقمشة الممتازة. ولقد انتقلت كل هذه الأسماء من العربية إلى الأسبانية، خلال العصور الوسطى، وإذا لاحظنا أنه لم يبق من هذه الأسماء، في الاستعمال اللغوي، إلا القليل، فإن ذلك يرجع

لسبب واحد هو تغير طرز الملابس في العصور الحديثة[١٦].

إن ملابس السيدات الأسبانيات المسيحيات ، وأثاث بيوتهن ومفروشاتها، كانت حتى إلى ما بعد ما يسمى بحرب الاسترداد، أي بعد السيطرة الأسبانية الكاملة على المنطقة العربية من أسبانيا، كانت تغتني بالملابس العراقية الرائعة مثل[١٧]: الجبة jupa, jubon, juba, aljuba, chupa وانتقلت إلى الإيطالية giuppa وإلى الفرنسية jupon, jupe. والدَّرَّة adorra وهي نوع من الحلل المزررة، واللحاف allihafe, alifafe وهو دثار أو معطف من الجلد، ويقول دوزي: «إنه كساء واسع للمرأة»[١٨]. والمبطنة mobatana وهي سترة من فرو أو جلد[١٩]. وهناك «الممطر» almadreña وهو معطف للمطر.

ومن أنواع الأقمشة، كان هناك البرّكان barragan وهو نسيج صوفي لا ينفذ منه الماء ويصنع منه نوع من الشملات تلقى على الكتفين. والطراز tiraz وهو نوع من القماش الحرير المطبوع بالألوان الزاهية.

ومن بغداد كان يأتي نوع آخر من الأقمشة يعرف بـ «بغدادي» baldaquin: و baldaqui وهو نوع من القماش الممتاز. يقول دوزي: «إن هذه الكلمة غير موجودة في القواميس، ولكنها كانت مستعملة بكثرة، خلال العصور الوسطى، نسبة إلى مدينة بغداد، التي كانت، في تلك الأزمنة، تدعى baldac حيث كانت فيها معامل، ذات شهرة ذائعة، لإنتاج الديباج والقماش المقصب بخيوط الحرير والذهب[٢٠].

---

(١٦) انظر: E. Levi-Provençal: "La civilizacion arabe...", p. 109

(١٧) راجع: Dozy: "Glossaire..", p. 147 ودوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب. ترجمة د. أكرم فاضل. بغداد ١٩٧١ ص ٩١ ـ ٩٨.

(١٨) دوزي: المعجم المفصل: . . . ، ص ٣٢٣.

(١٩) Levi-Provençal: "La civilizacion arabe...". p. 110 "ولم يذكرها دوزي

(٢٠) Dozy: "Glossaire..." p. 234

ومن مدينة الموصل عرف العالم العربي والإسلامي والأوروبي، خلال العصور الوسطى، القماش «الموصلي» muselina وهو نوع من القماش الخفيف، ولا يزال هذا الاسم يطلق على نوع شائع من الأقمشة. فهو في البرتغالية musselina, murselina وفي الفرنسية mousseline وفي الانكليزية muslin. وقد استعارته العامية العراقية بصورته الأخيرة، فقالوا «موسلين». وهناك قماش القطيفة alcatifa, alcatea الذي لا يزال من أنواع الأقمشة المفضلة لدى كثير من الناس.

والكوفية التي هي غطاء للرأس منسوب إلى مدينة الكوفة، انتقلت إلى الأسبانية cofia و وإلى الانكليزية coif والفرنسية coiffe والإيطالية cuffia وصارت تعني في هذه اللغات «غطاء للرأس» أو «قبعة سيدات». كما أصبحت لها دلالات مختلفة، في بعض هذه اللغات، لكل منها علاقة بالرأس وتغطيته(٢١). وفي هذا مساهمة واضحة في تنمية إمكانات التعبير في هذه اللغات المقترضة. ومنها أخذت كلمة coiffure أي مصفف شعر. وقد اقترضت بعض اللهجات العامية العربية هذه الصورة الأخيرة عن الفرنسية «كوافير» دون أن يدركوا أصلها العربي. ولقد غمض أصلها هذا حتى على قاموس الأكاديمية الأسبانية، فزعم أنها من اللاتينية. وقد أخذ د. حسن ظاظا بهذا الزعم(٢٢). ولكن دوزي وملر أكدا أصلها العربي، بعد أن كان دوزي قد أنكر كونها من العربية(٢٣).

---

(٢١) انظر الكلمة في: "Webster's new collegiate dictionary" A Merriam-Webster (R). G. & S. Merriam. Company. Massachusetts, U.S.A.

(٢٢) انظر: حسن ظاظا: كلام العرب، من قضايا اللغة العربية. بيروت ١٩٧٦ ص ٧٩ وعبد الرحمن أيوب: محاضرات في اللغة ـ القسم الأول ـ بغداد ١٩٦٦، ص ٢٠٣.

(٢٣) انظر: دوزي: المعجم المفصل...، ص ٣١٨ و: Dozy: "Glossaire..". p. 378. وانظر عن صناعة الأقمشة والملابس في المشرق العربي: آدم متز: «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري». نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥٧، ص ٣٤٤ ـ ٣٥٥.